شهر رمضان... نقطة انطلاق

كثيرة هي الأسباب والعوامل التي أدت عبر التاريخ الى الفرقة بين مختلف المذاهب الاسلامية. طوال تلك السنوات، بقيت الاختلافات مرتبطة بقضايا فرعية من دون أن تمسّ بجوهر الدين. في موازاة ازدياد دعوات علماء الدين والنخب المثقفة الى التقريب والحوار بين أهل المذاهب، وتقديم رؤية دينية علمية تجمع صفوف المسلمين، فإن كثيرين يجدون في شهر رمضان المبارك، بقيمه الجامعة، نقطة انطلاق جوهرية على طريق توحيد المذاهب الاسلامية وإزالة عوامل الفرقة في ما بينها.

على رغم الانتقاد الواسع لطغيان المظاهر الاحتفالية على معاني الشهر الفضيل، وذهاب البعض الى حد الحديث عن «عولمة الصوم»، فإن اقتراحات كثيرة يفنّدها المعنيون والعارفون، من شأنها أن تدفع باتجاه وحدة المسلمين، لعلّ من أبرزها إنشاء مرجعية إسلامية موحدة، تضم ممثلين عن مختلف المذاهب، وتضطلع بمهمة توحيد المناسبات الدينية، انطلاقاً من شهر رمضان المبارك.

في هذا التحقيق، تسلّط «الجريدة» الضوء على عوامل الفرقة وسبل التلاقي من خلال حوارات خاصة أجرتها مع مجموعة من المشايخ وعلماء الدين من الطائفتين السنية والشيعية.

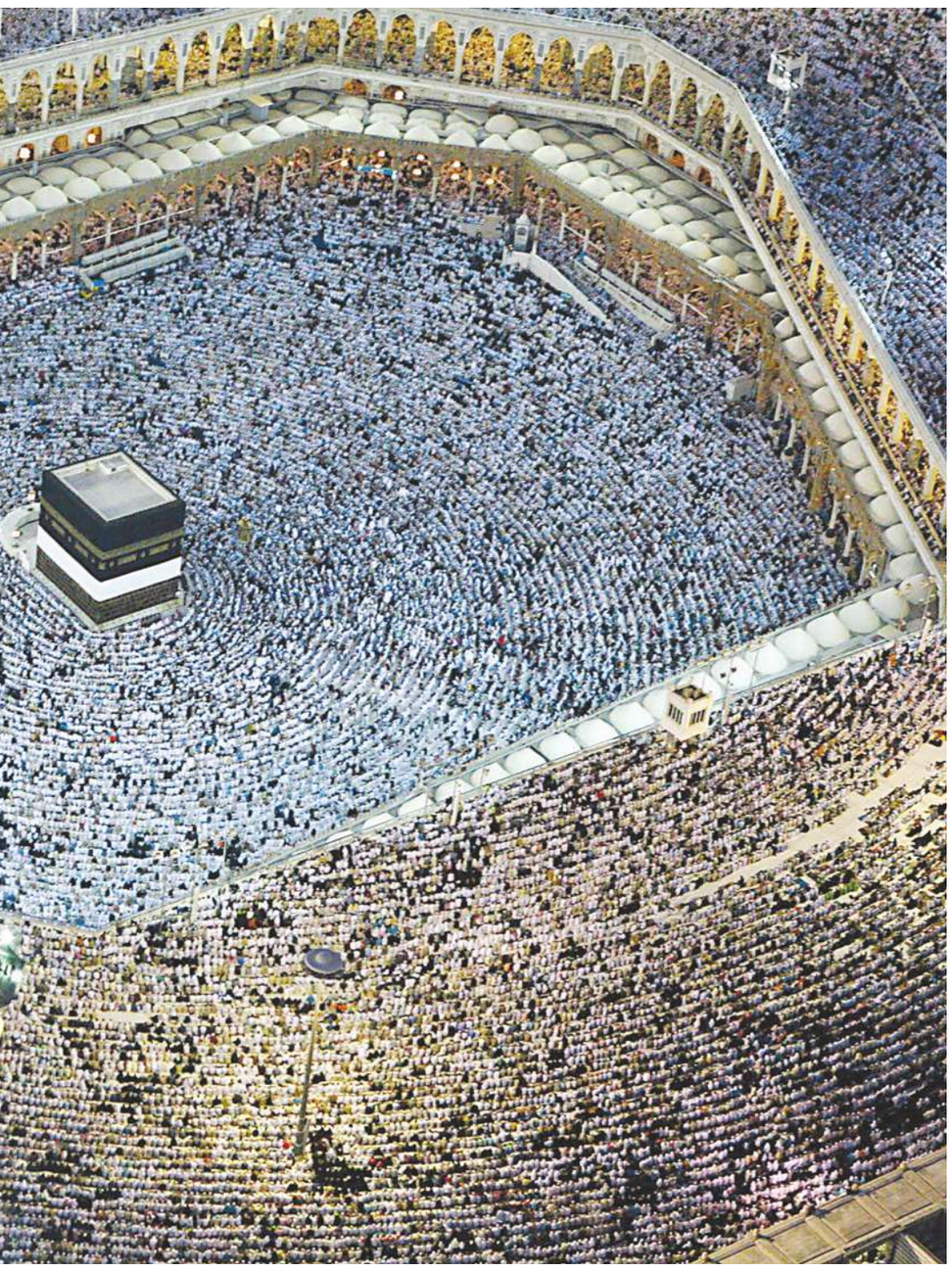

التصنيف الطائفي وغياب التسامح أبرز أسباب الفرقة

السيد محمد باقر المهري

علي رجب

لافي الشمري

أكد السيد محمد باقر المُهري أن «شهر رمضان المبارك شهر التقوى والفضيلة، وفيه تصفى قلوب المسلمين وتنقى من الشوائب، متخلصين من التعصب المذهبي. يزور خلاله، المسلمون الشيعة مساجد المسلمين السنّة ويجلسون على مائدة إفطار واحدة. كذلك تكثر مظاهر التقرب الى الله، سبحانه وتعالى، حيث يكبح المسلم جماح شهواته، متجنباً الإهدار والتعصّب والتحجّر في شهر المحبة والمودة بين المسلمين، فيما الشياطين تكون مصفّدة في الأغلال».

في هذه الأجواء الروحانية، يحرص الإنسان المؤمن على التقرّب من سائر إخوانه المسلمين، تاركاً التعصب والجمود والتكفير، «لأن كل مذهب يعلم أن سرّ قوّة الإسلام والمسلمين هو الوحدة والتقريب بين المذاهب واحترام كل مذهب للمذهب الآخر، وأبرز هذه المظاهر، تجمّع ملايين المسلمين في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والجلوس على مأدبة الإفطار في المسجدين الشريفين»، يوضح المُهري.

الإصلاح والتقارب

المؤكد أن تشخيص موارد الاختلاف أمر في غاية الأهمية، ويؤشر الى حجم الهوة التي ينبغي ردمها بين المذاهب. في هذا السياق، يشير المهري الى أن «ثمة موارد محدودة يختلف فيها المسلمون، مثل مسألة وجوب الاعتقاد بإمامة وقيادة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، ووجوب السجود على الارض وعدم «التكتّف» في الصلاة، إلا أنها لا توجب البعد عن الآخر. دين الله، سبحانه وتعالى، واحد، فالرب واحد والكعبة واحدة والقرآن واحد والنبي (صلعم) واحد، والجميع يصلون ويحجون ويعبدون ويعتقدون بالميعاد يوم القيامة».

إلا أن هذه التباينات لا تحول دون إمكان الاصلاح والتقريب بين أبناء الدين الواحد «الإسلام المحمدي»، وإن كانت الاجتهادات متعددة ومختلفة، فحتى بين أبناء المذهب الواحد توجد اختلافات في الفتاوى الفقهية وسواها. بيد أن كل ذلك لا يمنع من الإصلاح والتقارب، سواء كان الاختلاف بين المذاهب الاسلامية اختلافاً تاريخياً أو عقائدياً أو فقهياً.

دوافع سياسيَّة

أكثر من ذلك، يشدد المهري على ضرورة التقرب بين المسلمين والاعتراف بجميع المذاهب الاسلامية: «يجب على المذاهب الأربعة السنية أن تقرّ وتعترف بالمذهب الشيعي الأمامي والعكس صحيح»، مضيفاً: « لا شكّ في أن الاختلاف الديني وتكفير المذهب الشيعي أو أي مذهب آخر، له دوافع سياسية استعمارية حيث أن الاستعمار الكافر يحاول دائماً التفرقة بين المسلمين. قال الإمام الخميني رحمه الله: «الذي يفرق بين السنة والشيعة لا هو بسني ولا هو بشيعي، وانما هو عميل للاستعمار الكافر».

يقر السيد المُهري بضرورة عقد مؤتمرات وندوات تهدف الى التقريب بين المذاهب الإسلامية والاطلاع على معتقدات وآراء وأفكار بعضها بعضاً، متوقفاً عند التأثير الكبير لمؤتمر التقريب الذي يعقد في طهران، وكذلك الدور البارز والفاعل لمؤتمر التقريب الذي نظم في مكة، حيث نظم جلالة الملك عبدالله مؤتمراً فقهياً، دعا إليه آية الله الشيخ هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الخبراء وغيره من الشخصيات الدينية المهمة.

ثقافة التعدديَّة

السبيل الأمثل لتوحيد المسلمين ينطلق، وفقاً للسيد المهري، من أهمية تدريس الأمة الإسلامية وإكسابها ثقافة التعددية وعدم تكفير المذاهب الأخرى في المدارس والمعاهد والجامعات والكليات. واذا ما رسّخنا هذا المفهوم، لتغيّرت أذهان ونظرات المسلمين وطريقة تعاملهم مع باقي المذاهب الإسلامية، إضافة الى أهمية تدريس الفقه المشترك والتاريخ المشترك، وانعكاس كل ذلك على تفكير الإنسان المسلم الواعي.

عن العوامل التي تحول دون توصُّل المسلمين الى حالة من الوئام والوحدة والتآزر، يعتبر السيد المهري أن العقبة الكبرى تتمثّل بوجود «جماعات متأسلمة تكفيرية، متعصبة ومتحجرة»، مضيفاً: «خوارج هذا العصر يبثّون الفرقة الطائفية والفتن المذهبية، على غرار توقيع 22 عالماً تكفيرياً على وجوب محاربة الشيعة واعتبارهم شرّ طوائف هذه الأمة، وأن أصلهم يرجع الى اليهود، وسواها من التهم الباطلة، أثناء انعقاد مؤتمر التقريب في مكة».

يوضح المهري أنه «ما دام هؤلاء يصدرون الفتاوى الباطلة ويكثّون العداء، تصبح مسألة التقارب أمراً صعباً جداً، ونظير هذه الجماعة، الجماعات الكويتية المتعصّبة التي لا تقبل بالرأي الآخر، وتدعو دائماً الى التفرقة وعدم ارتباط سائر الشعب الكويتي بالمذهب الشيعي أو ببعض المذاهب السنيّة الاخرى». كذلك يبدي أسفه «لفوز بعض هؤلاء المتحجرين في الانتخابات الأخيرة ووصولهم الى مجلس الأمة وتشكيلهم لجنة لمحاربة ما يسمونه بـ«الظواهرالسلبية»، فهم يرون أن الحضور في الحسينيات وإقامة المآتم على الامام الحسين (عليه السلام) وزيارة القبور بدعة».

يخلص المهري الى أنه لتحقيق الوحدة بين المسلمين، ينبغي على الحكومات «محاسبة العلماء التكفيريين وتحجيمهم وعدم الإفساح في المجال لهم ومنعهم من تكفير المسلمين كافة، كي يعيش المسلمون براحة وأمن وأمان وسعادة، كما كانوا يعيشون في صدر الاسلام في ظل قيادة النبي محمد (صلعم)».

تناحر دينيّ

من ناحيته، ينتقد الشيخ بسّام الشطي الاختلاف السياسي الذي يفسد أحياناً التلاحم والوحدة، ويعتبر أن «بعض المراجع الدينية يتعمّد إنشاء أسباب التناحر والتنافر بين المذاهب»، مذكراً بقول الرسول (صلعم): «لا تجتمع أمتي على ضلالة».

الشطي، الذي يأسف لعدم اقتداء المسلمين بحديث الرسول الكريم : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ...»، يشدد على أنه «في حال اتباع سنّة النّبي الكريم ستزول الخلافات وتهدأ النفوس». كذلك يبدي أسفه لأن «ثمة مراجع دينية تسعى الى إنشاء أسباب التناحر والتنافر بين المسلمين لأهداف سياسية»، داعياً الى «نبذ الخلافات والسعي الى تقريب وجهات النظر بين الفرقاء في الدين الواحد، فعندما نقتدي بالرسول (صلعم)، سنقوّض أسباب الاختلافات الدينية ونعمل على خدمة ديننا».

الموضوعيَّة مفقودة

يذهب الشطّي الى حدّ اعتبار أن «مؤتمرات التقريب بين المذاهب لا تنظّم بنيّة صافية، حيث يحرص المشايخ وعلماء الدين على تسجيل مواقف فحسب، والتقاط الصور وتناول الطعام من دون مناقشة الأمور الحيوية، موضع الخلاف، إضافة الى عدم تسليط الضوء على وقائع ملموسة كأوجه الاختلاف بين المناهج وكيفية العمل لإنهاء هذه المعضلة المزمنة».

يعتبر الشطي أن «جهد المجتمعين غالباً ما ينصبّ على مناقشة قشور الاختلاف وعدم التطرق الى صلب الموضوع بموضوعية والمرور مرور الكرام على الاختلافات العقائدية»، مضيفاً: «أعتقد أن الغرض الحقيقي من هذه الاجتماعات تسجيل مواقف سياسية أكثر منها اعتبارية، تتطلع الى إنهاء أسباب الاختلافات بين المذاهب».

كذلك انتقد الشطي الجدل الطائفي القائم على عوامل الاختلاف الخارجي الذي يقود الى تفسير النصوص حسبما يقتضي هذا الواقع تفسيرها، محذراً من مغبة المضي في هذا الاتجاه الذي ينذر بأمور خطيرة جداً لا تعود بالنفع على جموع المسلمين، مشدداً على وجوب تكاتف أبناء الدين الواحد الذين أبعدتهم اجتهاداتهم النظرية وممارساتهم السياسية، مطالباً بتفعيل دور المؤسسات والجهات التي تسعى الى التقريب بين المذاهب الإسلامية.

التجرّد الحقيقي

بدوره، أكد بدر الحجرف أن السبيل إلى توحيد المذاهب هو التخلص من الشوائب التي طرأت على طريقة أداء العبادات لدى المسلمين، معتبراً أن الرجوع إلى سنة الرسول (صلعم) وما كان يقوم به أهل بيته وصحابته، إضافة إلى التجرد الحقيقي من المصالح والهوى بمختلف أشكاله، يكفل للمسلمين العيش بوئام ومحبة، متمنياً أن يساهم شهر رمضان الكريم في توحيد صف المسلمين في عباداتهم وعدم تأصيل أسباب الفرقة بينهم .

لا يرى الحجرف في مؤتمرات التقريب بين المذاهب، سوى أنها تساهم في تأصيل موارد الاختلاف واتساع الهوة بين معتنقي الديانة الإسلامية عن طريق اجترار أسباب الخلاف الذي يؤدي إلى القطيعة بينهم، و هي لا تصب في مصلحة توحيدهم بدليل أنها لم تخرج إلى الآن بنتائج إيجابية تجمع الأطراف المتناحرة على قبولها.

التشهير الطائفي

عن كيفية تقريب وجهات النظر، اشترط الحجرف تجرد الإنسان من أهوائه الشخصية والعامة، وأوضح أن قائمة الأهواء تندرج تحتها أمور كثيرة منها المصالح الشخصية والأمور النفسية وحتى السياسية، وكذلك جهل بعض الأمور الفقهية والعقائدية والتعصب باتجاه معين.. كل هذه الأمور مجتمعة، تدفع الفرد الى الجدل والتشهير الطائفيين وسواهما من موارد الخلاف، معتبراً أن اتباع مسلك هوى النفس لن يصب في صالح تقريب وجهات النظر بين الفرقاء من أبناء الدين الواحد، مبيناً أن من يسلك هذا الاتجاه سيرَ الحق باطلاً والعكس صحيح بغض النظر عن انتمائه العقائدي.

كذلك، يبدي الحجرف أسفه لأن «ثمة أموراً مستحدثة لم يكن الرسول وصحابته يفعلونها، أدت الى مضاعفة النزاعات الطائفية وعدم تسويتها، لا سيما في ظل غياب التسامح الروحي والتعالي على التصنيف الطائفي القائم على التعصب المذهبي».

الجدل العقائدي

أسف الشيخ علي رجب لاختلاف المسلمين وفرقتهم، معتبراً أن الاختلاف المذهبي ضمن أبناء الطائفة الواحدة وارد كما هو حاصل في الاختلاف بين المذهبين السني والشيعي .

يطالب رجب بالكف عن الجدل في الأمور العقائدية وموضع الخلاف بين جموع المسلمين، مفضلاً أن يعهد الفرد إلى العلماء في عملية البحث في هذه الأمور، موضحاً أن القضايا العقائدية من الصعب على الإنسان العادي مناقشتها والإفتاء فيها عن جهل، لأن الجدل بهذه القضايا من دون معرفة تامة يؤدي الى تأصيل التناحر والتنافر بين المسلمين، أما القضايا الفقهية فمن الممكن مناقشتها .

وردا على أن الخلاف السياسي يعد من الأسباب الرئيسة في الاختلاف بين المذاهب، قال رجب أن الخلاف قديم منذ الأزل وليس وليد المصادفة، بيد أن الخلاف السياسي يحرك هذا الخلاف العقائدي، معتبراً أن شهر رمضان فرصة ثمينة لاقتناص أكبر فوائد دينية ممكنة سواء على الصعيدين الشخصي والعام .

يحدد رجب الطريقة المثالية للتأقلم مع هذا الوضع المتذبذب باتباع الطريقة ذاتها التي كان يتبعها جموع المسلمين بعد وفاة الرسول (صلعم)، حيث ظهرت مشكلات كثيرة كانت موضع خلاف بين المذاهب الاسلامية، رافضاً تقديم اقتراحات تنهي الاختلافات بين أبناء الدين الواحد.

فرصة ذهبيّة للتقريب

القاهرة - محمد عبد الحي

نشأت المذاهب الإسلامية كمظهر من مظاهر الحياة الفكرية في الإسلام، وتحولت بعد ذلك إلى مدارس يدعم بعضها الخلاف الذي يؤدي إلى الانشقاق في وحدة الصف الإسلامي، ما حدا أعداء الأمة إلى استغلال التفرقة المذهبية لمحاربة الإسلام من داخله، فهل يمكن معالجة الأسباب التي دعت إلى التفرقة والتعصب بين السنة والشيعة، والخروج منها والعمل على إزالتها ليحدث التقارب ويتوحد الصف الإسلامي في مواجهة الأعداء، خصوصاً في شهر رمضان المبارك الذي جعله الله عز وجل وسيلة إلهية متجددة لتحقيق الوحدة بين أبناء الأمة؟

يؤكد د. نصر فريد واصل (مفتي مصر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر) أن شهر رمضان المبارك يشكل فرصة ذهبية تتكرر مرة في العام ويطالب فيها الله عز وجل أمة الإسلام بضرورة بث روح الوحدة بين أبنائها لا سيما بين عنصريها الأساسيين السنة والشيعة، يقول: «يجب أن تتكثف جهود العلماء في الشهر المبارك للتقريب بين المذاهب الإسلامية والقضاء على الأمية الدينية التي أصابت للأسف الشديد بعض العلماء والفقهاء وفرّقت بين السنة والشيعة، لأنه ما من فرق بين سني وشيعي، فالمسلم من شهد أن لا إله إلا الله، وأقام أركان الإسلام وتوجّه في صلاته إلى القبلة. أما في ما يتعلق بالأمور السياسية ومجال المعاملات، فهناك بعض الخلافات، وهو أمر طبيعي، إذ نجد في المذهب الواحد سبعة أقوال للمسألة الواحدة، إذاً الشيعي مثل السني وجميعهم مسلمون يؤازر بعضهم بعضا أمة واحدة «المؤمنون أمة واحدة»، خصوصاً خلال الشهر المبارك، ومن خرج عن هذا الأمر، فهو ليس مسلماً وخروجه هذا ليس له علاقة بالشيعة ولا بالحنفية ولا الزيدية ولا غيرها من المذاهب».

يضيف د. واصل: «الذي يؤمن بأصول الإسلام هو مسلم، أما الخلاف في الفروع فيخضع للاجتهاد، ولا يجوز للمجتهد أن ينتقد حكم مجتهد آخر، فكل واحد على اجتهاده. يخدم المتعصبون من السنة والشيعة العدوّ، بل يقتلون أنفسهم بأنفسهم، لأن خلافهم هو سلاح للعدو ضدهم. لا بد من أن يؤدي التقريب بين الأمة العربية والإسلامية بجميع مذاهبها إلى العمل تحت راية الشرع التي تحمي الحاكم والمحكوم وتحقق الاستقرار والأمان. من يذيع أن عدم التقريب هو في صالح الحكام هو على باطل، وليكن شعار علماء السنة والشيعة هو اتخاذ شهر رمضان المبارك قاعدة انطلاق رئيسة لتوحيد صفوف المسلمين والتقريب بين المذاهب الإسلامية».

الذريعة

من ناحيته، يؤكد د. محمد الدسوقي (أستاذ الدراسات العليا في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة وعضو المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب في طهران) أن الضعف والفرقة اللذين يعاني منهما العالم الإسلامي راهناً، سببهما الرئيس الخلاف المذهبي بين المسلمين والدور الذي أداه أعداء الإسلام في اتخاذ هذا الخلاف ذريعة لبث الفرقة ومنع قيام الوحدة الإسلامية، يقول: «يفرض المأزق الراهن الذي يعيشه العالم الإسلامي أن يبحث ولاة الأمور والعلماء والمفكرون في هذه الأمة عن مخرج من هذا المأزق الذي يهدد بمزيد من تدهور الأحوال من سيئ إلى أسوأ، ويجب أن تحتلّ الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية المكانة الأعلى في تاريخ الإصلاح الإسلامي قديمه وحديثه، خصوصاً في شهر رمضان المبارك الذي تكون فيه الأمة الإسلامية مؤهلة تماماً لتحقيق هذه الغاية الدينية، لأنها دعوة إلهية، والله سبحانه وتعالى هو الذي وضع أساسها ورسم منهجها ورفع من شأن الدعاية لها ووجه الرجاء إلى جني ثمرتها. قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الحجرات 10)».

يضيف د. دسوقي: «تقرر الجملة الأولى من الآية حقيقة من الحقائق الثابتة «إنما المؤمنون أخوة» أي أن هذا شأنهم وذلك أمرهم فليس للمسلمين بعد هذا أن يسيروا إلى هدف يخالف هذا الهدف، ولا أن يخرجوا عن مقتضيات هذه الأخوة لأي سبب من الأسباب. تأمر الجملة الثانية بإصلاح ذات البين أي أن يدرأ المسلمون من أنفسهم كل ما يفسد علاقة الأخوة التي قررها الله عز وجل بينهم».

يتابع د. دسوقي: «الشهر الفضيل هو شهر التآخي بين أبناء الأمة والاصطفاف الإسلامي سنة وشيعة تحت مظلة هذه الأيام المباركة. لا تعني فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية توحيدها ولا صرف أي مسلم عن مذهبه، لأن فكرة توحيد المذاهب أو إدماجها عمل ضد العقل وضد طبيعة البشر، وصرف المسلم عن مذهبه تحت شعار التقريب هو تضليل. يجب أن تذكّر فكرة التقريب، كما يقصدها روادها، المسلمين بنقاط الوفاق بينهم وهي كثيرة وبأصول الدين وثوابته. أما نقاط الخلاف فهي فرعية لا ينبغي أن تسبب تباعداً أو شقاقاً، لذلك من الضروري أن يكون أساس الاجتماع على فكرة التقريب البحث والاقتناع كي يمكن، بسلاح العلم في الحجة، محاربة الأفكار الخرافية الطفيلية التي لا تعيش إلا في ظل الأسرار والأجواء المظلمة».

يوضح د. دسوقي أن «التقريب دعوة إلى التعرف الى وجوه الاتفاق والالتفاف حول مواضع الاتحاد والقربى ومعالم الأخوة التي تربط بين المسلمين، ولقاء علماء المذاهب ليتبادلوا المعارف والدراسات ويعرف بعضهم بعضاً في هدوء العالم المتبصر الذي لا هم له إلا أن يرى ويعرف ويقول فينصف، وأن فكرة التقريب بين المذاهب في ضوء الفكر المستنير المستقيم الراشد والتي اجتمع عليها دعاة التقريب، هي حوارية علمية تعتمد على الاجتهاد والحجة وتمقت التعصب والتشرذم